# الثقافة الإسلامية في الحبشة والتحديات الموجهة إليها

## في القرن الرابع عشر الهجري

د. بيان صالح حسن(*)

رسالة ماجستير ـ للباحث عبد الله الخضر العروسي. قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

**جاء هذا البحث المكون من: مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس، وملاحق في ٤٣٧ صفحة. وكعادة البحوث الجامعية حوت المقدمة، أهمية الموضوع، والدراسات السابقه، ومنهج البحث، وتقسيم الدراسة، والصعوبات التي واجهت الباحث، والشكر. وقد سلك الباحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في كتابته للبحث، وذكر في مقدمته هذه بعض الصعوبات التي واجهته كقلة المادة العلمية التي تخدم بحثه، والوضع الأمني المضطرب الذي كان سائداً في الحبشة في أثناء بحثه الميداني. كما أن الدراسات السابقة التي اطلع عليها والتي عني بها الغربيون كانت تمجد الحضارة النصرانية في الحبشة، وتبرزها للوجود مع غض الطرف عن كل ما له علاقة بالإسلام والمسلمين.**

### ـ التمهيد :ـ

وضع الباحث ثلاثة تمهيدات لبحثه، ففي التمهيد الأول: عرف الثقافة الإسلامية لغة واصطلاحاً، واعتمد تعريفاً يخدم بحثه بحيث يتحدد مفهوم الثقافة في عنوان رسالته بـ «مقومات مسلمي الحبشة العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة» مع التركيز على أهم المقومات من خلال تشخيص الأوضاع العقدية والفكرية والأخلاقية والتربوية والتعليمية، وآثارها، ومعرفة التحديات التي واجهت تلك الأوضاع.

ثم اتجه إلى التعريف باسم «الحبشة» و«إثيوبيا» والجذور التاريخية لهذه التسمية، ويرى أن لا فرق بين الاسمين في إطلاقه على تلك البقعة المعروفة بهذا الاسم، إلا أنه اختار اسم «الحبشة» لعنوان بحثه لكونه أدق وأشمل في الدلالة على

اعتنى كثير من الباحثين بالدراسات الأفريقية، وسجلت عدد من الرسائل العلمية في مرحلتي الماجستير والدكتورة في عدد من الجامعات العربية والأفريقية والغربية. وفي كل عدد من مجلة (قراءات أفريقية) نعرف ببعض الرسائل العلمية ليطلع الباحثون والمتابعون لشؤون القارة الأفريقية عليها.

(*) باحث إرتري ـ دكتوراه في علم الدعوة. جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البلاد والشعوب التي تسكن هذه البقعة، وقد استثنى من بحثه كل من (إرتريا)[1] و (أوجادين) بالرغم من تبعيتهما رسمياً للإمبراطورية الإثيوبية خلال فترة بحثه؛ وذلك لوجود رسالة ماجستير أخرى تبحث عن الدعوة الإسلامية في (إرتريا)، ولكون البحث في منطقة (أوجادين) يحتاج إلى اللغة الصومالية التي لا يجيدها الباحث.

ثم قام بتعريف بعض المصطلحات التي وردت في بحثه كالتحديات، والغزو الفكري، والتغريب، والعلمانية، والاشتراكية... الخ.

أما في التمهيد الثاني: فأعطى لمحة جغرافية وتاريخية عن الحبشة التي بلغت أقصى توسع لها في عام ١٩٦٢م ١٣٨٢هـ عندما ضم (هيلي سلاسي) إرتريا رسمياً إلى إمبراطورية إثيوبيا لتمتد من ٣ إلى ١٨ درجة شمالاً ومن ٣٣ إلى ٤٨ درجة شرقاً.

ثم تحدث عن انتشار الإسلام في الحبشة، وتاريخ الثقافة الإسلامية فيها، وأبان أن دخول الإسلام إلى الحبشة تميز بسلوكه الطرق السلمية التي تمثلت في الهجرات والتجارة والدعوة، وأشهر الهجرات كانت تلك التي تمت في السنة الخامسة من البعثة النبوية حيث هاجر مجموعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - بأمر من النبي ﷺ بعد أن ضيق عليهم قريش، وبقي الصحابة هناك قرابة خمسة عشر عاماً حتى عاد آخرهم في السنة السابعة للهجرة، وقد ظهر أثر هؤلاء في إسلام النجاشي، وإرساله وفداً إلى النبي ﷺ يتكون من الرهبان والقساوسة يبلغ عددهم ما بين ١٢ - ٧٠ رجلاً على خلاف بين أهل السير.

بعد هذا أقحم الباحث موضوع المناوشات التي كانت تثور من فترة وأخرى بين المسلمين ونصارى الحبشة من لدن عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومروراً بعهد الأمويين، فالعباسيين، ثم العثمانيين، فلو وضع له عنواناً مستقلاً لكان أولى بدلاً من إدخاله في وسط الحديث عن الهجرات.

ثم عاد ليكمل الحديث عن استمرار الهجرات بعد الصحابة - رضوان الله عليهم - لأسباب سياسية واقتصادية.

**أما في التمهيد الثالث**: فتحدث الباحث عن أحوال المسلمين الثقافية في الحبشة قبيل القرن الرابع عشر الهجري، وذكر أنه بالرغم من العزلة التي كان يعيشها مسلمو الحبشة عن العالم الإسلامي إلا أنهم تمكنوا في هذه الفترة من نشر الإسلام في القبائل الوثنية؛ فوجدت الثقافة الإسلامية بيئة مناسبة للزحف والانتشار؛ وذلك لهدوء الصراع العسكري بين المسلمين والنصارى، وانشغال نصارى الحبشة بنزاعاتهم الداخلية. ولخص الباحث ملامح الثقافة الإسلامية في هذه الفترة في النقاط التالية:

١ - كانت (هرر) تمثل مركزاً رئيساً لتلقي وبث الثقافة الإسلامية في الشرق، ثم تأتي بعدها سلطة (جِمّا أبا جفار) في الغرب - وهي آخر سلطنة إسلامية تم إلغاؤها رسمياً في عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م - (وداوّي وولّو) في الشمال.

٢ - كانت اللغة العربية في (هرر) لغة الإدارة والمعاملات الرسمية.

٣ - اتخذ التعليم شكل الكتاتيب، وركز على القرآن والفقه الشافعي وعلوم اللغة العربية.

٤ - الطرق الصوفية حازت قصب السبق في نشر الإسلام والتفاف الناس حولها.

وتناول الباحث بعد هذا الوجود المصري في القرن الثالث عشر الهجري وما أحدثه من تطور من نشر العلم وإنشاء المدارس وتطوير الحرف والصناعات والقضاء، وبخاصة في (هرر، وإرتريا)، إلا أن الأثر

(١) استقلت إرتريا عملياً عن إثيوبيا عام ١٩٩١م وأعلن ذلك رسمياً عام ١٩٩٣م.

الذي ظهر في الشمال والشرق لم يتوغل إلى داخل الحبشة، وأخفقت مصر من بسط سيطرتها على الحبشة بالرغم من ثلاث محاولات لغزوها.

وقد نحا الباحث في هذه النقطة إلى السرد التاريخي. وفي تقديري لو سلك بالقارئ نحو إبراز عناصر الثقافة الإسلامية في مسلمي الحبشة في تلك الفترة لغة، وتعليماً، واقتصاداً، وسياسة، واجتماعاً... إلخ كل على حدة لخرج القارئ بصورة واضحة عن الوضع الثقافي للمجتمع المسلم في الحبشة؛ لأن المادة التي جمعها كانت كافية لأخذ هذا المسلك.

**بعد ذلك دخل الباحث إلى صلب بحثه؛ فعقد الباب الأول تحت عنوان (الثقافة الإسلامية في الحبشة في القرن الرابع عشر الهجري)**، ومهد هذا الباب بمدخل تحدث فيه عن أثر العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تكوين الأوضاع الثقافية.

**بعد هذ المدخل عقد الباحث الفصل الأول: بعنوان أوضاع الثقافة الإسلامية**، فتحدث في المبحث الأول منه عن: الوضع العقدي والفكري، وبدأ بالحديث عن الوضع العقدي؛ لأن العقيدة تمثل الركيزة الأساسية للمجتمع المسلم وفساد هذا الأمر أو انحرافه يفسد باقي أحوال المجتمع، وقد قسم الباحث المجتمع المسلم في الحبشة في هذا الجانب إلى صنفين: صنف العلماء وطلبة العلم، وصنف العامة.

فالصنف الأول - العلماء وطلبة العلم - كان التعليم والتعلم عندهم يسير على مذهب (العقيدة الأشعرية)، ولم يكن العلماء وطلبة العلم يربطون تحقيق توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية لا في أنفسهم ولا في دعوتهم؛ لذلك نجدهم لا ينكرون على الذين يستغيثون بالأنبياء والصالحين، ويتقربون إلى القبور بالنذور، بل الأنكى من ذلك أن يشارك البعض منهم في مثل هذه المنكرات، ويشد الرحال لحضور المزارات والأضرحة التي تقام فيها الحوليات، ولعل الصدقات والهبات التي كانت تجمع للمشايخ وطلبة العلم في مثل هذه المناسبات مما شد هؤلاء إلى حضور هذه الأماكن، ولا ينكر قيامهم بالوعظ في هذه التجمعات إلا أنهم لا يتطرقون لمنكر قصد الأموات في جلب النفع ودفع الضر.

وينسب الباحث سبب انحراف العقيدة إلى الطرق الصوفية التي وصلت إلى الحبشة من اليمن في وقت مبكر، وإن كان يصعب تحديد ذلك؛ فقد ذكر (ابن بطوطة) الذي زار السواحل المقابلة للحبشة في عام ٧٣١هـ (١٣٣٠م) أنه قابل جماعة من الفقراء وبعض كبار الصوفية.

وبالرغم من أن الحديث كان يدور حول العقيدة عند العلماء وطلبة العلم فقد أطال الباحث النفس في حديثه عن الصوفية وانتشار طرقها في الحبشة، وذكر بأن (القادرية) التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني تعد من أقدم وأكثر الطرق انتشاراً، ثم (الطريقة الأحمدية) التي تنسب إلى السيد أحمد بن إدريس الفاسي التي امتدت إلى جنوب الحبشة، وكذلك (الطريقة التجانية) التي انتشرت في الشمال، واتبعها سلطان (جمّا أبا جفار) أحد سلاطين المسلمين، بالإضافة إلى طرق أخرى قليلة الأهمية كالسمانية، والصالحية.. الخ.

أما عن الوضع الفكري فإن الباحث أكد وجود الإنتاج الفكري في القرن الرابع عشر الهجري في الحبشة في المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية، وكان مرتبطاً في عمومه بالفكر الصوفي، وبعد المسح الميداني للإنتاج الفكري توصل الباحث إلى وجود (إطار علمي) يهتم بالبحوث والمسائل الفقهية والنحوية، والتعليقات على الحواشي، ووضع شروح للمختصرات، ونظم المنثورات، واختصار المطولات،

وشيء من مؤلفات التاريخ، إلا أن جُل ما كان يكتب لم يجد طريقه إلى الطبع؛ وذلك لقلة الإمكانات وعدم وجود مطابع عربية في الحبشة.

كما توصل الباحث إلى إطار آخر للإنتاج الفكري وهو (الإطار الموجه) المتمثل في المنظومات والمؤلفات الصوفية والسيرة النبوية والوعظ والإرشاد باللغة العربية واللغات المحلية، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من المؤلفات والمنظومات للدعاة السلفيين الذين يحاولون فيها إلى تصحيح العقيدة، كالشيخ أحمد بن سعيد نونو.

وفي المبحث الثاني تناول الباحث: الوضع الأخلاقي والسلوكي؛ بهدف الكشف عن مدى التزام مسلمي الحبشة بالقيم والأخلاق الإسلامية في حياتهم اليومية، وذكر احتفاظ مسلمي الحبشة بالقيم الإسلامية التي أبقت روح الإسلام في مجتمعهم، وبخاصة في القرى والأرياف الذي يمثل فيها المسلمون الغالبية، بينما أصاب أهل المدن شيء من الانحلال الخلقي لكثرة المغريات، وتركز المناهج التربوية والتعليمية العلمانية والتنصيريه فيها.

وقد وضع الباحث هنا عنواناً فرعياً للحديث عن الوضع الخلقي في المؤسسات التعليمية، إلا أن سياق الحديث لا يحتاج هذا العنوان؛ فقد كان أغلب الحديث في وصف أخلاق المسلمين حسب شهادات الرحالة الغربيين والمسلمين الذين زاروا الحبشة، وقد تضافرت شهادات هؤلاء بتقدم المسلمين على النصارى في الخلق الكريم من الصدق والأمانة والبعد عن الرذائل والفواحش.

ومن الوسائل التي أعانت على نشر القيم والأخلاق الإسلامية: الأسرة، والكتاتيب، ومجالس العلم، وشيوخ القبائل، بل إن بعض شيوخ القبائل والوجهاء والقضاة كانوا يفرضون العقوبات المختلفة لمن يعبث بالأعراض، ويتهاون في أداء الفرائض، ويسيء إلى أهل الدين.

ولكن العهد الماركسي أثر أثراً بالغاً على أخلاق المسلمين؛ فظهر منهم من يتهاون بالدين، وينحرف عن الطريق السوي؛ فخرجت الفتيات كاسيات عاريات - وقد يكون والدها ممن يُنظر إليه بعين القدوة - وشاعت الرشوة والغش عند القضاة المسلمين بذريعة قلة الرواتب، وتسرب الإهمال في الآداب الشرعية في المأكل والمشرب، والاختلاط بين الجنسين في الحفلات.

إلا أن الباحث يرى أن الماركسية لم تتمكن من القضاء كلياً على القيم الإسلامية، وأن ما تبقى لدى المسلمين من الخلق والتقاليد المطابقة للشرع بمحافظة الغيورين على الإسلام فيه خير كثير، ويوصي الدعاة بضرورة التأكيد على ما تبقى من القيم الإسلامية وإحياء ما مات منها أو ضعف.

وفي المبحث الثالث: تناول الباحث الوضع التربوي والتعليمي، فذكر في البداية أن المسلمين في الحبشة يغلب عليهم إرسال أبنائهم منذ الصغر إلى الكتاتيب لتلقي القرآن الكريم والتربية الإسلامية، فإذا ختم الطالب القرآن يعطى مبادئ من فقه العبادات، والقليل من يواصل تعليمه الديني، بل يتوجه الغالب الأعم إلى المدارس الحكوميه. والتربية التي يتلقاها الطفل من الكتاتيب تختلف باختلاف معلمه؛ فمنهم من هو متأثر بـ (التصوف) وهو الغالب، ومنهم من هو متحمس بغرس (العقيدة السلفية) وهو نادر.

والوضع التعليمي في القرن الرابع عشر الهجري يلاحظ فيه سبق مسلمي الحبشة النصارى في الحرص على التعليم؛ إذ لم يتجاوز تعلم القراءة والكتابة عند النصارى جدران الكنائس، حتى فتح

(منيليك) المجال للإرساليات التبشيرية القادمة من الدول الغربية لفتح المدارس؛ فوجدت هذه المدارس تجاوباً كبيراً من النصارى، ونفر عنها المسلمون؛ لأنها كانت تقدم مع التعليم الدعوة إلى النصرانية، وكان التدريس فيها بلغة (الأمهرا) النصارى، وبالرغم من تطور التعليم وحدوث عدة تغييرات فيه إلا أن السمة البارزة على المناهج كانت الصبغة النصرانية، وبخاصة في المواد الاجتماعية؛ لذلك أصبح التفكير في إيجاد تعليم إسلامي أمراً لا مفر منه في ظل هذه الأوضاع.

**وكان التعليم على نوعين:**

**النوع الأول:** التعليم التقليدي المكون من الكتاتيب والمجالس العلمية، أو الحلقات العلمية.

**والنوع الثاني:** نظام المدارس.

وقد أجل الباحث الحديث عن النوع الأول وذهب يفصل في النوع الثاني مع أن الترتيب المنطقي وإراحة القارئ كان يستلزم البدء بالنوع الأول. كما أن هذا النوع هو الأهم والأكثر والأقوى أثراً.

**الفصل الثاني:** مراكز الثقافة الإسلامية ووسائلها.

تحدث الباحث في المبحث الأول من هذا الفصل عن مراكز الثقافة الإسلامية، وبيّن أن أهم مراكزها في الحبشة هي: هرر، وجمّا، وولّو، وداوّى، وعرسى، والعاصمة أديس أبابا[1].

وأعاد سبب تحديده المراكز في هذه المناطق لما لها من معطيات ثقافية للمسلمين، أو لما لها من تاريخ حافل في حركة الإسلام وصراعه مع النصرانية، أو لوجود حركة علمية كثيفة فيها.

ثم ذهب الباحث يعدد المراكز الإسلامية الموجودة في أديس أبابا من مساجد ومدارس مع أن مكانها الطبيعي تحت العنوان الفرعي (أنواع المراكز) الذي عقده مباشرة بعد ذلك؛ لذا يوجد بعض التكرار فيما فصّله عن أديس أبابا وما جاء تحت عنوان: أنواع المراكز.

وذكر من أنواع المراكز: المساجد، والمدارس الإسلامية، ومجالس العلم، والمؤسسات الثقافية مثل: الجمعيات، والأندية، وخلوات مشايخ الصوفية، وبيوت العلماء والوجهاء، مع ذكره لبعض النماذج منها: كـ (الجامع الأنوار) بالعاصمة أديس أبابا الذي يضم بين جنباته معهداً لجماعة التبليغ الذي كان يضم في أثناء البحث الميداني ٨٠٠ دارس ودارسة، و (المدرسة الخيرية الإسلامية) في هرر التي أسست عام ١٣٥٠هـ على المنهج الأزهري، وتم تحويلها إلى مدرسة حكومية عامة سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م، و(مدرسة عمر سمتر) في أديس أبابا التي حولت أيضاً إلى مدرسة حكومية فيما بعد، و (المدرسة السلفية) التي أسست في العاصمة عام ١٣٦٢هـ على المنهج الأزهري ولم تستمر طويلاً، و (مدرسة أبادر الإسلامية)، و (مدرسة الفتح الإسلامي)، و (مدرسة الجالية العربيه)، و (المدرسة الأولية) التي تقع جميعها في العاصمة أديس أبابا.

أما عن مجالس العلم فأشار الباحث إلى أنه قد تناولها في الفصل الأول، ثم ذكر المؤسسات الثقافية: كنادي الاتفاق الإسلامي، ونادي شباب المسلمين، وكان الأخير يصدر مجلة إسلامية باسم «بلال» أوقفتها الحكومة في بداية عهد الماركسية.

وهناك مركز لجماعة التبليغ - جماعة الدعوة - في (أديس أبابا) التي تغلغلت في أوساط الشعب والشباب بوجه خاص، واستطاعت أن تعيد الكثير منهم بأسلوبها المعهود إلى الرشد بعد الإلحاد والضلال.

وأشار الباحث إلى (المزارات، والخلوات

(١) ذكر الباحث إرتريا أيضاً وهي الآن مستقلة، وكانت تابعة لإثيوبيا ثلاثة عقود فقط، منها عقدان في القرن الرابع عشر الهجري - من ١٣٨٢هـ.

الصوفية) التي تقام في المواسم والمناسبات والتي تعد جزءاً من الثقافة الإسلامية في الحبشة مع أنها تقدم ثقافة إسلامية مشوهة.

وختم الباحث المراكز الثقافية بإشارته إلى المراكز الخاصة المتمثلة في المكتبات التجارية التي كانت توفر الكتب العربية والإسلامية، وكانت محصورة في كل من العاصمة ومدينة هرر.

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل: تحدث الباحث عن وسائل الثقافة الإسلامية، وقسمها إلى: وسائل فكرية، ووسائل مادية.

**وذكر من الوسائل الفكرية:**

١ ـ التعليم.

٢ ـ الوعظ والإرشاد على المستوى الفردي والجماعي في المحافل والمناسبات وبعد الصلوات في المساجد، وقد أفاد من هذه جماعه التبليغ.

٣ ـ الخطب المنبرية؛ غير أن تأثيرها محدود جداً لكونها باللغة العربية التي لا يفهمها الجميع.

٤ ـ التأليف والتنظيم.

٥ ـ وسائل الإعلام.

٦ ـ الاتصال الثقافي بالعالم الإسلامي من خلال رحلة طلبة العلم إلى كل من اليمن، والسودان، ومصر، والسعودية، بالإضافة إلى دعم المنظمات والهيئات الإسلامية المختلفة للدعاة والمدارس الإسلامية في الحبشة.

وما كان على الباحث إدخال وسائل الإعلام في الوسائل الثقافية الإسلامية؛ لأن ما ذكره في الحقيقة أن هذه الوسائل الإعلامية كانت عائقاً في نشر الثقافة الإسلامية؛ وهو يقول في الصفحة ٢٠٤ ـ ٢٠٥: «أن الجرائد والمجلات المحلية ـ سواء أكانت بلغة عربية أو محلية ـ كانت خالية من المواد الدينية... ولم يكن لها دور في نشر الإسلام وثقافته» ولو ذكر هنا مجلة «بلال» التي كان يصدرها نادي شباب المسلمين لمدة عامين (١٩٧٢ ـ ١٩٧٤هـ) حتى منعت من قِبَل الحكومة الشيوعية لكان أفضل والله أعلم.

ويبدو التداخل بين هذا المبحث وبخاصة في فقرة التعليم وفقرة التنظيم والتأليف بما تم تناوله في المبحث الثالث من الفصل الأول الخاص بالتعليم والوضع التربوي والتعليمي وفي المبحث الأول من الفصل الثاني الخاص بالمراكز العامة للثقافة الإسلامية، وكذلك في المبحث الأول من الفصل الأول الخاص بالوضع الفكري لمسلمي الحبشة.

أما عن الوسائل المادية للثقافة الإسلامية فأشار إلى ما يقوم به المسلمون من جمع التبرعات خدمة لنشر الإسلام وثقافته، سواء في التعليم وبناء المساجد، أو التعاون بين أهل القرى والأرياف لخدمة طلبة العلم ومشايخهم والتكفل بإسكانهم ومعيشتهم، بالإضافة إلى نشرهم الإسلام بالكتب التي يخطونها بأيديهم، سواء أكانت مصاحف، أو مقررات دراسية، أو منظومات وقصائد دينية، وكذا الكتب القليلة التي طبعت.

**ثم عقد الباحث الفصل الثالث بعنوان آثار الثقافة الإسلامية**، وتحدث في المبحث الأول منه عن أثر الثقافة الإسلامية في العقيدة واتجاهات الفكر مبرزاً أثر الضعف الثقافي في العقيدة والفكر، والآثار الإيجابية للثقافة الإسلامية في الحبشة.

**في المبحث الثاني تناول الباحث أثر الثقافة الإسلامية في أنماط الحياة الاجتماعية، فذكر من ذلك:**

١ ـ معالجة العادات والتقاليد الجاهلية ـ كالتقاتل القبلي، وشق الخدود بالأشواك عند موت عزيز، وبعض العادات المنافية للعفة ـ.

٢ ـ تقدم المسلمين على النصارى من الناحية الخلقية والمسلكية والآداب العامة.

٣ ـ حرص المسلمين على التميز عن النصارى في الظاهر، وهذا في الأرياف خاصة كاستعمال آنيتهم ولبس ملابسهم .. إلخ، وقد أسهب هنا الباحث في الحديث عن المنكرات التي شاعت في المدن ـ وهذا لا داعي له؛ لأن الباحث سيذكره في الباب الثاني ـ.

٤ ـ تميز المسلمين بالجد والنشاط وحب العمل.

٥ ـ حرصهم على التعاون والتجمع، ولمَّا كان لا يسمح لهم بالتجمع الرسمي فإنهم اتخذوا الجلسات الدورية في البيوت التي يتخللها شيء من المدائح والقصائد والوعظ والإرشاد فرصة لمناقشة هموم مجتمعهم ومحاولة حل ما أمكن من المشكلات التي تواجههم.

وقد جاء هذا الفصل قصيراً ـ (٣٠) صفحة ـ بالنظر إلى ما سبقه من الفصول.

**الباب الثاني: التحديات الموجهة إلى الثقافة الإسلامية، وموقف المسلمين منها:**

وطَّأ الباحث هذا الباب أيضاً بمدخل تحدث فيه عن أثر العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في التحديات، فأكد على أن العوامل السياسية تتصدر جميع العوامل المؤثرة على الثقافة الإسلامية؛ حيث الاستبدادية واستحواذ الحكم في أيدي النصارى، كما أن سياسة تفقير المسلمين وتهجيرهم من مناطقهم وإبعادهم عن الوظائف، وإهمال المساجد والأنشطة التعليمية الإسلامية من أي دعم حكومي أدى إلى ضغط اقتصادي عجز بسببه المسلمون من تدبير شؤونهم الثقافية.

ويتجلى العامل الاجتماعي، وذلك في اختلاف أجناس المسلمين في الحبشة، واختلاف أصولهم العرقية ولغاتهم وعاداتهم مما نتج عنه عقبة شديدة أمام تكوين الوحدة الثقافية للمسلمين، بل أفاد من ذلك السلطات المعادية في تشتيت المسلمين.

ثم عقد الباحث الفصل الأول تحت عنوان: **أنواع التحديات**، فتحدث في المبحث الأول منه عن التحديات الداخلية الموجهة من قبل أعداء الإسلام من داخل البلاد، وكان من أبرزها:

١ ـ سياسة التجهيل (قلة الثقافة العامة لدى المسلمين).

٢ ـ إضعاف اللغة العربية.

فقد منع (هيلي سلاسي) التدريس باللغة العربية في المدارس الحكومية، وألغى التعامل بها في الدوائر الحكومية في الأقاليم التي كانت تتعامل بها، بل حاول تغييبها عن الخطاب الديني كخطبة الجمعة، وشجع على ترجمة القرآن الكريم باللغة الأمهرية، ونشره دون النص العربي ليجعل المسلمين يكتفون بالنص الأمهري المترجم، إلا أن خطته في جعل (اللغة الأمهرية) لغة الدين والثقافة عند المسلمين لم تنجح؛ وذلك لأن أغلب مسلمي الحبشة وبخاصة في القرى والأرياف لا يتعاملون باللغة الأمهرية في فهم النصوص الشرعية، بل لهم لغاتهم الخاصة، كما أن الحكومة لم تكن صادقة في نشر الثقافة الإسلامية الصافية باللغة التي يفهمها النصارى.

لذلك فإن ما تم نشره من العلوم الشرعية باللغة الأمهرية لا يتجاوز القصائد والمنظومات، وخمسة كتب تشرح مسائل فقه العبادات والسيرة النبوية.

٣ ـ إحياء الرواسب الجاهلية ودفن التراث الإسلامي.

٤ ـ عدم وجود حرية الطباعة والنشر.

٥ ـ حركة التنصير الداخلية.

٦ ـ الحصار الثقافي.

وقد لخص الباحث التحديات الخارجية في عدد من النقاط:

**١ ـ الزحف التنصيري الخارجي:**

حيث بلغ عدد المنصِّرين الأجانب في الستينيات الميلادي إلى ٩٠٠ منصِّر، وعدد المدارس أكثر من ١٠٠ مدرسة، بها أكثر من ثلاثة آلاف مدرس معظمهم من القساوسة، وتتبع هذه الإرساليات عدداً من الدول الغربية.

وقد كان الإمبراطور (هيلي سلاسي) قد أصدر مرسوماً في عام (١٩٤٤م ١٣٦٤هـ) يوجه فيه المنصِّرين الأجانب بتركيز جهودهم على العناصر غير النصرانية، وأن لا يحاولوا تغيير مذهب النصارى في الحبشة.

وكان نشاط المنصرين هذا يحظى بتشجيع رسمي من قبل الدولة، ويشرف على أنشطتهم لجنة عليا فيها الوزراء ورجال الدولة.

وعلى العموم فإن الإرساليات التنصيرية خدعت الكثير من المسلمين بالمدارس، والمستشفيات، وملاجئ الأطفال والأيتام حتى تمكنوا من تنصير بعض المسلمين وأبنائهم، وأسهمت إسهاماً واضحاً في تحقيق زعم أباطرة الحبشة بأن إثيوبيا جزيرة نصرانية، وحدّت من تقدم الإسلام في مناطق الوثنيين.

**٢ ـ التغريب (علمنة الثقافة):**

لما وجد دعاة التغريب ضعفاً في الثقافة الإسلامية سعوا إلى الإحلال الثقافي للنمط الغربي عبر التعليم ووسائل الإعلام بالتعاون مع الحصار الثقافي المفروض على المسلمين، وأصبحت شريحة كبيرة من مثقفي مسلمي الحبشة فريسة سهلة للعلمانية والتغريب على المستوى الفكري والسلوكي، وبخاصة في المدن، بل الأدهى من ذلك تأثير هذه الثقافة على من ينظر إليهم القدوة في الدين.

**٣ ـ التيار الشيوعي:**

الحكومة الشيوعية التي برزت في عام ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م إثر إنقلاب عسكري على (هيلي سلاسي) سعت جاهدة لتدمير الأديان ـ وعلى وجه الخصوص الإسلام ـ، وقد كشفت وسائل الإعلام عن وثيقة سرية أعدتها الحكومة الشيوعية تضع خطة للقضاء على الإسلام، ولنشر الإلحاد في الحبشة، واستغلال العداوة القديمة الموجودة بين المسلمين والنصارى في الحبشة.

ومن أهم الخطوات التي سلكها النظام الشيوعي القيام بحملة ثقافية تستهدف جميع فئات الشعب، وحشد الإمكانات التعلمية والثقافية والإعلامية والفنية والترفيهية لها، ومصادرة جميع المنشورات التي تدعو إلى الدين، وتقديم الوظائف لمن يتبنى الكفر الاشتراكي، والتضييق على علماء الشريعة بإجبارهم على الاندماج في المزارعين، ومنع بناء مساجد جديدة، ومراقبة الخلاوي، وإثارة قضية المرأة.

**ثم عقد الباحث الفصل الثاني بعنوان: التحديات؛** فتحدث في المبحث الأول منه عن آثار التحديات في حياة الفرد المسلم، فبدأ بالأثر العقدي والفكري، وخلص إلى الآثار التالية:

١ ـ الردة سواء بالانتقال إلى النصرانية أو الإلحاد، وقد كان ذلك بتضافر الجهود السياسية والتنصيرية؛ فمن المسلمين من تنصر طمعاً في الوجاهة والمنصب: كالضباط، ورؤساء القبائل، ومنهم من تنصر لضعفه أمام إغراءات الإرساليات التنصيرية، وخداعها له بالخدمات التي وفرتها له ولأطفاله.

أما الإلحاد فقد شاع في العهد الشيوعي، وأصبح المثقف يعني من يجيد التفسير المادي للتاريخ والحياة، فتأثر بذلك المثقفون والشباب وبعض النساء اللاتي وجدن فرصة للتمرد على ولاية الرجل، والتحرر من قيود الدين المجتمع.

**٢ ـ التغريب (تقليد الغرب فكراً):**

هذا الأمر وإن كان أخف من سابقه في فساد

العقيدة إلا أن من لم يتأثر بالإلحاد بقي منحرفاً في فكره، وكل ما يتصوره عن الإسلام لا يتجاوز مجموعة من العبادات يكفي أداؤها ليكون المرء مسلماً.

**وأما الآثار على سلوك الفرد المسلم فتمثلت في:**

١ ـ التقليد الأعمى للغرب؛ بسبب الهزيمة النفسية التي يشعر بها مسلمو الحبشة.

٢ ـ التهاون بأمور الدين، ووفق استبانة أجراها الباحث على الموظفين والعمال والتجار وجد أن ٦٧٪ منهم لا يصلي جميع الصلوات في وقتها، و٢٣٪ فقط يصلون بانتظام، وأغلب هؤلاء من العاملين في المؤسسات الخاصة ، و١٠٪ لا يصلون مطلقاً.

أضف إلى ذلك تفشي الغش، وخيانة الأمانه، وإخلاف الوعد والكذب بين المسلمين بعد أن كان البعد عنها مميزات يتميزون بها عن النصارى في بدايات القرن الرابع عشر.

**وفي المبحث الثاني: تحدث الباحث عن أثر التحديات في حياة المجتمع المسلم.**

وابتدأ الحديث بالأثر الفكري والحضاري الذي ظهر في عنصرين مهمين وهما:

١ ـ الخلل في الاعتقاد: المتمثل في الخطأ في مفهوم القضاء والقدر، ومحاولة البحث فيه بدليل عقلي، وكذلك الخطأ في مفهوم التوكل على الله واختلاطه بالتواكل وتأثره بالفكر الصوفي، وتقسيم الإسلام إلى شريعة وحقيقة، والغلط في مفهوم الولي إلى حدٍ يبلغ عبادته.

٢ ـ التخلف العلمي والثقافي: حيث لم ينل منهم التعليم العصري إلا قلة قليلة، وبقي العلم الشرعي جامداً محصوراً بعلوم محدودة على فئة محدودة لا يُرى فيه التطور والتفاعل.

**ـ أما الأثر التربوي فتمثل في:**

١ ـ الخلل في النظام التربوي سواء على المستوى الأسري، أو المؤسسات التعليمية التي لا تغرس إلا القيم الغربية والعلمانية، وتقديس الدين النصراني، والملك النصراني، والدولة النصرانية. والأسرة لم تبق كسابق عهدها، بل أصبحت تكمل ما يبدؤه الطالب من انحراف في المدرسة.

٢ ـ الانحلال الخلقي: كظاهرة الاختلاط بين الجنسين، وبخاصة في المدن والمدارس حتى أفرزت علاقات محرمة، وأصبحت المسلمات هدفاً للنيل من شرفهن من قبل النصارى.

٣ ـ ضعف الولاء والبراء بين المسلمين إما جهلاً أو تساهلاً أو استخفافاً بالدين؛ وذلك بمشاركة النصارى في أعيادهم وشعائرهم الدينية، وتشييع جنائزهم، واتخاذ البطانه منهم والانتماء إلى جمعياتهم.

٤ ـ الرواسب الجاهلية: وهي العادات الوثنية والخرافات التي ارتبطت بالمجتمع كاحتفالات الزار وما شابهها، مما له علاقه بالعبادات الشيطانية، وقد يروج لها البعض باعتبارها تراثاً ينبغي تطويره والعناية به.

**ثم عقد الباحث الفصل الثاني تحت عنوان: موقف المسلمين من التحديات،** وتحدث في المبحث الأول عن موقف الولاء والتأييد، وحدد الفئات التي ابتليت بذلك في:

١ ـ فئة الزعماء والوجهاء: وهؤلاء تم إغراؤهم بالمال والوجاهة والألقاب ـ كأغلب أعضاء البرلمان في عهد هيلي سلاسي ـ ولقد ربط أغلبهم حياته بحياة الفئة الحاكمة (النصارى)، وانغمس في دائرتهم الاجتماعية بالصداقة والمصاهرة، وقد يتنصر هو أو بعض أبنائه في نهاية المطاف، والأغرب من ذلك أن بعض زعماء القبائل أجبر الخطباء أن يدعو للملك النصراني بطول العمر والصحة.. إلخ.

٢ ـ فئة المثقفين: وهم الذين نالوا قسطاً من

التعليم المدني، وتبوؤوا مناصب حكومية مختلفة، وتشربوا بأفكار الدولة حتى أصبحوا أداة طيعة لترويج وتنفيذ سياسة الدولة.

**أما في المبحث الثاني فتناول موقف المقاومة والرفض الذي تمثل في الآتي:**

١ ـ عدم الاختلاط بالنصارى في حياتهم الاجتماعية: كرفض أكل ذبائحهم، واستعمال آنيتهم، والابتعاد عن مساكنهم، بل إن من يأكل من ذبيحة النصراني يعد مرتداً في ذهن غالبية المسلمين، وهذه الأمور تظهر جلياً في الأرياف، وبخاصة الابتعاد عن مساكن النصارى.

٢ ـ مقاطعة التعليم العصري والكنسي: حيث أحجم المسلمون من إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية، واتجه من كان لديه الرغبة في العلم نحو بلدان العالم الإسلامي رغم الأخطار والمصاعب التي كانت تقف أمامه، والتي يمكن أن يفقد حياته بسببها.

٣ ـ التحصين الثقافي بالتعليم والدعوة بالأسلوب الذي سبق الحديث عنه في الباب الأول.

وقد أعاد الباحث هنا بعض ما ذكره في الوضع الفكري ـ التأليف ـ فكرر النماذج التي ذكرها هناك: كـ (الشيخ أبو بكر سبلو، ومحمد رشاد عبد الله) أنموذجاً للعلماء الذين خدموا التعليم والثقافة.

٤ ـ المقاومة السياسية: وقد قسمها الباحث إلى مقاومة منظمة، ومقاومة غير منظمة.

وبعد الإشارة إلى تصدي السلطنات الإسلامية لجيوش النصارى الغازية في عهد (منيليك) بدأ بالحديث عن المعارضة المنظمة التي تمثلت في:

أ ـ التغيير الذي أجراه الإمبراطور المسلم (ليج إياسو) في عام ١٣٣١هـ عندما خلف جده (منيليك)، ومحاولته إعادة الحبشة إلى دائرة الإسلام، وانتهاء أمره فيما بعد بتآمر من الكنيسة الأرثوذكسية.

ب ـ الحركات التحررية التي ظهرت على أيدي المسلمين الذين اتجهوا صوب الصومال، وأسسوا ثورات إسلامية وطنية مسلحة في أوائل ستينيات القرن العشرين الميلادي، مثل جبهة تحرير الصومال الغربي وغيرها.

أما المقاومة غير المنظمة فهي تلك التي كان يقوم بها الأفراد في داخل الحبشة مثل: مجموعة السلطان (نوح بين عرسي) الذين رفعوا شكوى ضد الحكومة الإثيوبية إلى المستعمر السابق (الحكومة الإيطالية) بغية إثارة الموضوع في المحافل الدولية، وغيرها من المعارضات التي كان ينتهي معضمها بالفرار من إيثوبيا إلى خارج البلاد، والانضمام إلى المنظمات السياسية والثورية المنظمة.

**أما في المبحث الثالث فقام الباحث بنقد وتحليل المواقف المؤيدة والمعارضة**، وحلل موقف الولاء والتأييد من جانبه الشرعي، وجانب الإفادة مما لدى النصارى من علوم ووسائل الحياة.

فأكد قبل كل شيء أن موقف الولاء التام للنصارى والعلمانيين والملحدين موقف خطير لا يُقبل لأي عذر لا في واقع أحوال المسلمين في الحبشة ولا في غيرهم؛ لأنه إما أن يكون من الكفر البواح، أو ما يؤدي إلى ذلك.

وذكر الباحث أخطر مواقف الولاء: كالمناصرة ضد المسلمين، واتخاذهم بطانة من دون المسلمين مع بيان نهي الإسلام عن مثل هذا السلوك، وأثبت ذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

أما عن موقف الرفض والمقاومة فذكر الباحث أن موقف التحصين الثقافي الذي اختاره العلماء كان يسير بأسلوب تقليدي يعتمد على حفظ المتون والتمسك بمذهب معين، وبالرغم من جهدهم المشكور

فإنه لم يكن يحمل عوامل النهوض بأمة فقدت كيانها وترزحْ تحت قوة متسلطة، ولقد كان هذا الجمود سبب نفور الكثيرين من أبناء الجيل الجديد من الإسلام؛ لأنه كان عاجزاً عن إعطاء الصورة الكاملة الشاملة الحسنة عن الإسلام، ولا يلام هؤلاء العلماء على ترك التعليم العصري الذي كان أداة لإفساد العقيدة، بل يلامون لعدم تقديمهم البديل للنهوض بأمتهم.

أما منهج المقاطعة العامة للنصارى، وإن كان أمراً مطلوباً في ظل الممارسات الهادفة إلى إذابة المسلمين في المجتمع النصراني إلا أن الوضع الذي يعيشه المسلمون يستلزم عليهم عدم الانعزال تماماً، بل عليهم النزول إلى الميدان لتأسيس حياة كريمة؛ وذلك بالأخذ بالوسائل المناسبة لمنافسة النصارى ومنازعتهم في التقدم العلمي والصناعي، وتعليم أبنائهم العلوم المدنية مع تحصينهم بالعلوم الشرعية والتربية الإسلاميه، وهذا يتم إما بإنشاء مدارس عصرية تشمل العلوم الشرعية والتطبيقية معاً)، وتطوير الموجود منها الآن كالمدرسة الأولية في أديس أبابا. وإما بإنشاء مدارس تعنى فقط بالعلوم الشرعية والتربية الإسلامية تضع برامجها بحيث يستفيد منها طلاب المدارس النظامية الحكومية.

أما حركات المقاومة والانتفاضة فإن المقاومة التي تمت لصد هجمات (منيليك) كانت مقاومة باسلة لم يتمكن النصارى من الانتصار فيها إلا بعد استعانتهم بالأسلحة الحديثة المستوردة من أوروبا الغربية، بالإضافة إلى الوضع العسكري، والسياسي، والثقافي السيء الذي كانت تعيشه الممالك الإسلامية، فآخر سلاطين (هرر) مثلاً كان يطلق عليه (عبد الله الضعيف)، والمقاومة التي تمت لم تكن موحدة أو منضوية تحت قيادة العلماء والصلحاء.

أما المقاومة التي اتخذت شكل ثورات تحررية مسلحة فقد كانت قليلة التأثير في مجرى السياسة، وإن عبرت عن نزعة الشعور بالرفض للنصارى.

**وعدد الباحث أسباب ضعف هذه المقاومة في النقاط التالية:**

١ - عدم ارتكاز المقاومة على منهج إسلامي صحيح.

٢ - التعتيم الإعلامي من قبل العدو مع الضعف الإعلامي الذاتي لهذه الحركات.

٣ - عدم وجود مقاومة موحدة تسعى لانتشال جميع مسلمي الحبشة من هذا الوضع، بل كانت جميع الحركات مرتبطة بإقليم أو قومية معينة.

أما الحركات السرية التي كانت في الشرق والجنوب، وتتحرك في البلاد المجاورة فهي الأخرى لم تكن واضحة الأهداف، وقد كانت الدسائس التي تحيكها حكومة إثيوبيا تعمل على تفتيت هذه الجماعات وإضعافها.

وفي نهاية البحث ختم الباحث دراسته بخاتمة اشتملت على النتائج والتوصيات، وقد سرد الباحث ٣٢ نقطة باعتبارها نتائج البحث، وهي في تقديري أقرب إلى تلخيص كل ما جاء في البحث منها إلى نتائج البحث.

**تقويم البحث:**

إن هذا البحث يمثل في حد ذاته إنجازاً مهماً في إبراز الوجه الإسلامي للحبشة بعد أن دأبت الدوائر النصرانية تظهر الحبشة بـ: المملكة النصرانية ذات الأقلية المسلمة، وحامي حمى الكنيسة في أفريقيا، والجبهة الأمامية أمام الزحف الإسلامي؛ فهذا البحث إضافة لا يستهان بها إلى المكتبة الثقافية الإسلامية.

والبحث فريد في محتواه ومعالجته لقضية الثقافة الإسلامية في الحبشة، ويصعب الاستغناء

عنه أو تعويضه بغيره لكل من أراد أن يعرف أحوال ثقافة المسلمين في الحبشة في القرن الرابع عشر الهجري؛ فهو يسجل فترة زمنية من حياة مسلمي الحبشة تميزت بالقهر والكبت والعزل عن إخوانهم في العالم الإسلامي، وما سجله الباحث اشتمل على زيارات ميدانية ومقابلات شخصية لأناس عاشوا جل أعمارهم في القرن الرابع عشر الهجري، ويمثلون المرجع الوحيد لأحداثه؛ لأن الحياة السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية للمسلمين لم يتم تدوينها، وما دُوِّن من قبل الدولة فهوَ مشوّه مزوّر لا يمثل الحقيقة.

ومن مميزات هذا البحث: جرأة الباحث في طرح قضية مسلمي الحبشة ومحاولته الجادة في إظهار جميع الحقائق التي ظهرت له ونقده لها نقداً متوازناً.

ومن محاسن الدراسة أيضاً: اشتمالها على الخرائط والجداول البيانية، والملاحق التي تزود القارئ بمعلومات واضحة وأدلة ملموسة.

ولو حاولنا سرد جميع محاسن الرسالة وإيجابياتها التي هي الأصل فيها فإن المجال لن يسع لقول كل ذلك.

أما المآخذ على الرسالة فهي مآخذ لا تغض من شأنها، ولكنها عبارة عن اجتهاد للوصول إلى الأفضل، وأنا على يقين بأن صاحب الرسالة لو أتيحت له فرصة لكتابتها مرة أخرى فسيغير فيها الكثير والكثير، **ويمكن إجمال المآخذ العامة على الرسالة في النقاط التالية:**

١ ـ التكرار: وقد كان ذلك ملاحظاً في مواقع كثيرة؛ فمثلاً كرر الحديث عن المدارس والمجالس العلمية في أثناء تناوله الوضع التربوي والتعليمي، وأنواع المراكز الثقافية ووسائل الثقافة الإسلامية.

ولعل السبب يعود إلى عدم إدراج التعليم أو المدارس تحت مصطلح واحد؛ فكان عليه أن يعتبر المدارس إما مراكز أو وسائل للثقافة بدلاً من تكرارها في الموقعين.

٢ ـ الاستطراد: كثيراً ما يستطرد الباحث ويخرج عن العنوان الرئيس الذي وضعه؛ وذلك مثل حديثه عن دور مصر في نشر الثقافة الإسلامية تحت عنوان أهم العلوم والمذاهب المنتشرة في الحبشة.

٣ ـ كثيراً ما يذكر الباحث أن الأوضاع قد تغيرت بعد سقوط الشيوعية في الحبشة، وهذا يوهم القارئ بأن هذه الفترة داخلة في الحدود الزمنية لبحثه بينما الحقيقة أن الشيوعية سقطت في القرن الخامس عشر ١٤١١هـ، بل لم تدرك شيوعية الحبشة سوى ست سنوات من القرن الرابع عشر الهجري؛ فلو جعل مثل هذه التعليقات في الهامش لكان أفضل.

٤ ـ لم يتحدث الباحث عن أثر الثقافة الإسلامية على غير المسلمين في الحبشة.

٥ ـ بالرغم من أن الباحث أخرج إرتريا من دراسته إلا أنه يلاحظ دخولها في كثير من المعلومات والإحصاءات، بل فذكر من الطرق الصوفية (الطريقة الختمية) التي لا توجد إلا في إرتريا والسودان.

٦ ـ إن الفترة التي تناولها الباحث تعد فترة طويلة وعناصر الثقافة الإسلامية كثيرة، فلو كان الباحث قد اختصر بحثه على جانب من جوانب الثقافة الإسلامية لكان أولى، وبخاصة أن المعلومات التي جمعها الباحث ميدانياً لا تمثل إلا خمسة أقاليم من الأقاليم الثلاثة عشر التابعة للحبشة، مما يعني أن هناك الكثير من المعلومات التي لم تسجل.

هذا والله أعلم.

# البنك الدولي وأفريقيا: تكوين الدول التي يمكن أن تحكم

The World Bank and Africa: The Construction of Governance States

Graham Harrison جراهام هاريسون

**عرض وتعريف: د. باسم خفاجي**

ـ تاريخ النشر : يوليو ٢٠٠٤م.

ـ الناشر : مطابع روتلدج Routledge

ـ الصفحات : ١٦٢ صفحة .

ـ الترقيم الدولي : ٠٤١٥٣٠٢٨٠٣ ـ ٠٤١٥٣٠٢٨٠٣

## ١ - وصف الكتاب:

أنفق البنك الدولي جهداً كبيراً في العقد الماضي في البحث عن الرموز الشعبية التي يمكن أن تتحول إلى رموز إصلاح تحمل وجهات نظر البنك الدولي الاقتصادية ، وتسوغ التدخلات الكبيرة للبنك الدولي في القارة الأفريقية . وهذا الكتاب لمؤلفه الدكتور (جراهام هاريسون) من جامعة شيفيلد بالمملكة المتحدة يبحث في هذا الدور للبنك الدولي في أفريقيا .

ويرى المؤلف أن تدخل البنك الدولي في أفريقيا يتجاوز حدود تقديم المعونة ، بل إنه في كثير من الأحيان يسمح للبنك أن يقدم نفسه شريكاً في الحكم في دول ذات استقلالية .

ويبحث الكتاب في التدخلات الخارجية للبنك الدولي في عدد من الدول الأفريقية التي تعاني من تراكم الديون الخارجية عليها . ويناقش المؤلف في الكتاب أساليب التغيير السياسي لأنظمة الحكم من خلال البنك الدولي وطُرق التدخل الخارجي في مؤسسات ونظم الحكم في أفريقيا .

قدم الكتاب في الفصل الأول عرضاً للآلية التي يعمل بها البنك الدولي ، وكيف يدار كمؤسسة دولية ، ثم ينتقل الكاتب لمناقشة دور البنك الدولي في

الكتب التي تصدر عن القارة الأفريقية باللغات المختلفة كثيرة جداً، وخاصة باللغة الانجليزية، وتتباين تلك الكتب والدراسات في قوتها والتزامها بالموضوعية العلمية، ونحرص في مجلة (قراءات أفريقية) عن التعريف الموجز ببعض هذه الكتب والدراسات ليطلع القراء على بعض الجديد الذي يقدم له إضافة علمية.

أفريقيا، والعلاقات المحلية والإقليمية للبنك في القارة. ثم يبين الكتاب مراحل التغيير في القارة الأفريقية ودور البنك الدولي في ذلك.

أما الفصل الثاني فيبحث في العلاقة بين الكيانات المستقلة في أفريقيا، وتدخلات البنك الدولي في شؤونها، وتاريخ هذه الكيانات وأساليب الحكم الموجودة في القارة. وينتهي القسم الأول من الكتاب بالفصل الثالث الذي يركز على أساليب عمل البنك الدولي كإحدى المؤسسات الليبرالية العالمية. كما يركز الكتاب على علاقة البنك الدولي بالفكر الرأسمالي العالمي، وعلاقة المؤسسات الدولية عموماً بالسوق الرأسمالية. ويشرح الكتاب المفهوم الجديد لليبرالية المعاصرة، وعلاقة هذا المفهوم بالقواعد الاقتصادية العالمية.

أما القسم الثاني من الكتاب فيبدأ بالفصل الرابع الذي يركز على مبدأ «ما بعد الأزمة» أو (post Conditionality)، وهي الشروط التي تضعها مؤسسات النقد الدولية على الدول بعد أن تقع الدول في المشكلات الاقتصادية، وليس قبل ذلك، ومن ثم فهي شروط مجحفة؛ لأنها تتعامل مع النتيجة وليس السبب. ويشرح الكاتب هذا المبدأ وعلاقته بأنظمة الحكم، ويدلل على ذلك بأمثلة من كل من أوغندا وتنزانيا. كما يشرح ما أسماه «بالوجوه الثلاثة» للتغيير المدني في الصحراء الأفريقية، ويربط ذلك بنفس المبدأ.

ويشرح الفصل الخامس بالكتاب: كيف يعمل مبدأ «ما بعد الأزمة»، وعلاقته بالدول الدائنة والدول المدينة، والتناقضات التي يحتويها هذا المبدأ والتي تضر بالدول التي يفرض عليها؟.

أما الفصل السادس فيبحث في موضوع الليبرالية وعلاقتها بالتغيير الإداري والمدني في القارة الأفريقية. ويركز الكاتب على عدد من القضايا المتعلقة بالليبرالية من بينها: مبادئ الليبرالية - التدخل باسم الليبرالية - مصطلحات الحكم الليبرالي - ... إلخ، كما يشرح في نهاية الفصل كيف أدت هذه السياسات إلى تكون شريحة تستلم السياسات دون أن يكون لديها أية صلاحيات حقيقية في التغيير بسبب تدخلات البنك الدولي والمنظمات الدولية الأخرى؟.

أما الفصل السابع ـ والذي يتعلق بموضوع الأمن ـ فيشرح فيه الكاتب مبادئ الاستقرار السياسي والأمني في الدول الأفريقية، والتهديدات التي تواجه الاستقرار، والدور الذي يلعبه تغيير أساليب الحكم في أمن الدول، وعلاقة كل ذلك بالنخب الحاكمة في الدول الأفريقية.

ويلخص الكاتب الصورة التي تحول بها عمل البنك الدولي في أفريقيا في عبارة مفادها: «إن هشاشة أنظمة الحكم الأفريقية، وكثرة تدخلات الجهات الخارجية قد وفرتا «السيولة» اللازمة للنخب الأفريقية لكي تتبنى حلول البنك الدولي في أنظمة الحكم ضمن مشروع هذه النخب النفعي الخاص بها

للغنى المالي والتقدم الاجتماعي على حساب شعوبها».

**٢- أبواب الكتاب:**

**القسم الأول: المواجهة مع نظام الحكم: البنك الدولي، وحكم الدول، وجبهة جديدة للاستقلال.**

**الفصل الأول:** الطريق للحكم: البنك الدولي وأفريقيا.

**الفصل الثاني:** الدول التي يمكن أن تحكم في أفريقيا.

**الفصل الثالث:** تصور مبادئ البنك الدولي.

القسم الثاني: كيفية تكوين دول يمكن أن تحكم: المؤسسات، والأسلوب، والأمن.

**الفصل الرابع:** مقدمة عن مبدأ «ما بعد الأزمات» (Post Conditionality).

**الفصل الخامس:** كيف يعمل نظام «ما بعد الأزمة» post Conditionality.

**الفصل السادس:** الليبرالية وأسلوب التغيير في الدول.

**الفصل السابع:** الأمن في الدول التي يمكن أن تحكم.

**الفصل الثامن:** ثأر الليبرالية الجديدة.

**تعريف بالمؤلف:**

الدكتور جراهام هاريسون: هو أحد أعضاء هيئة تدريس جامعة شيفيلد البريطانية. وهو أستاذ في قسم السياسة في الجامعة. قام المؤلف بعدد من الرحلات إلى موزمبيق، وكانت هذه الرحلات مقدمة لإعداد هذا الكتاب. مجالات اهتمام المؤلف هي فساد أنظمة الحكم، وعلاقة ذلك بنظريات التنمية، وأثر ذلك على التحرر السياسي والاقتصادي. الكاتب أيضاً هو أحد محرري دورية "الاقتصاد السياسي الجديد، ومراجعات السياسات الاقتصادية الأفريقية". New Political Economy and Review of African Political Economy، كما أنه أحد أعضاء مركز الدراسات الأفريقية.

# الاهتمام المتصاعد للولايات المتحدة بأفريقيا: سبع مقترحات لتقوية السياسية الأمريكية - الأفريقية

Rising U.S. Stakes in Africa: Seven Proposals to Strengthen U.S.-Africa Policy

والتر كانيستاينر ج. ستيفن موريسون
Walter Kansteiner, J. Stephen Morrison

**عرض وتعريف: د. باسم خفاجي**

- **تاريخ النشر:** يونيو ٢٠٠٤

- **الناشر:** مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية

Center for Strategic & Intl studies

- **الصفحات:** ١٨٠ صفحة .

- **الترقيم الدولي:** ٠٨٩٢٠٦٤٤٦٣

## ١ - وصف الكتاب:

الكتاب: هو عبارة عن أهم ما ورد في التقرير الصادر عن اللجنة الاستشارية للسياسة الأفريقية والمنبثقة عن الكونجرس الأمريكي. وقد قدم التقرير الصادر عن اللجنة إلى وزير الخارجية الأمريكي في فبراير من عام ٢٠٠٤ ، وصدر هذا الكتاب بعد ذلك بأربعة شهور.

يركز الكتاب على الموضوعات التالية:

**أولاً**: تقديم توصيات محددة للتحديات العاجلة التي تواجه الولايات المتحدة، والأمم المتحدة، وغيرهما بعد انتهاء الحرب في السودان.

**ثانياً**: توصيات لتقوية الأسواق الرأسمالية في أفريقيا والتوقعات الاقتصادية حول دخل النفط بالقارة من الدول المنتجة للنفط خلال السنوات السبع القادمة.

**ثالثاً**: تطوير سياسات الطاقة الأمريكية فيما يتعلق بأفريقيا، والتركيز على نيجيريا، وأنجولا، ودول غرب أفريقيا.

**رابعاً**: وضع سياسة لترشيد استهلاك الطاقة في أفريقيا، ولحماية الموارد الطبيعية بها.

**خامساً**: تقوية جهود الإدارة الأمريكية في مكافحة الإرهاب في أفريقيا.

**سادساً**: استراتيجية محددة لمواجهة المشكلات المزمنة، وحالات عدم الاستقرار من خلال تقوية الجهود الدبلوماسية ومساندة عمليات حفظ السلام.

**سابعاً**: توصيات بشأن ضمان استمرار قيادة أمريكا لجهود العالم في مقاومة انتشار مرض الإيدز.

كما يؤكد الكاتبان أن هذا البحث قد أظهر

تغيرات كبيرة في عدد من القضايا الاستراتيجية الهامة، ومن بينها:

● أن أفريقيا تمثل كياناً استراتيجياً هاماً للولايات المتحدة وسياساتها الخارجية. وهذا التحول مرتبط بالتغيرات التي حدثت في أولويات المبادئ الاستراتيجية الأمريكية المرتبطة بالأمن العالمي بعد أحداث سبتمبر. كما أن هذا التحول مرتبط أيضاً بخمسة عوامل تغيرت بشكل كبير في العقد الماضي في القارة الأفريقية وهي: انتشار الإيدز - الإرهاب - النفط - الصراعات المسلحة - التجارة العالمية.

● إن التغييرات القيادية الأمريكية المتمثلة في الإدارة الأمريكية الحالية قد غيرت من النظرة تجاه أفريقيا، وغيرت من حدود التوقعات بشأنها، وهدمت الكثير من أنماط التفكير التقليدية المتعلقة بالقارة، وأظهرت الحاجة إلى التطور في السياسات المرتبط بالنتائج المطلوبة من العلاقة مع القارة الأفريقية.

● أن التغيير في النظرة إلى أفريقيا يحمل في طياته الحاجة إلى سياسات جديدية، وتطوير في البرامج والمهارات البشرية والاعتمادات المالية لمواكبة التغيير في التفكير الاستراتيجي تجاه المنطقة. ومن المتوقع أن توقيع اتفاق سلام في السودان في عام ٢٠٠٤م سوف يؤدي إلى تغيرات أساسية تحتاج الولايات المتحدة إلى التصدي لها في المجالات الأمنية، وتحديات حفظ السلام التي ستعقب توقيع الاتفاق النهائي للسلام في تلك المنطقة.

إن القارة الأفريقية تجمع ٣٠٠ مليون مسلم، وهناك حاجة هامة إلى التواصل معهم من الناحية الأمنية لتقليل المخاطر الإرهابية من الكيانات المزقة داخل القارة.

ويرى المؤلفان أن هذه الخطوات مجتمعة تقدم تصوراً طموحاً للمستقبل للإدارة الحالية والكونجرس والإدارة الأمريكية القادمة أيضاً. كما أكدا على أهمية تقديم أطروحات جديدة للعالم الإسلامي في إطار مكافحة الإرهاب، وخصوصاً في مناطق غرب أفريقيا، واستثمار النجاحات الحالية في السودان، وتطوير التعامل مع منطقة الصومال.

ويضع الكاتبان في نهاية الكتاب مجموعة من التوصيات المحددة للإدارة الأمريكية من بينها:

● لابد أن يهتم وزير الخارجية الأمريكية بصفته الشخصية والاعتبارية بموضوع مكافحة انتشار الإيدز في أفريقيا.

● لابد أن تقوم أجهزة الأمن القومي بدراسة آثار انتشار الإيدز في أفريقيا على الأمن القومي الأمريكي، وأن يوضع تصور محدد لرد الفعل الأمريكي الأمني ضمن سياسة مقاومة انتشار الإيدز في القارة.

● تعيين مستشار خاص للرئيس الأمريكي للشؤون الأفريقية.

● زيادة الدعم المادي والعيني للأنظمة الأفريقية المتعاونة مع السياسات الاستراتيجية الأمريكية.

● تقوية أنظمة المصارف الأفريقية المحلية، وربطها بوزارة المالية الأمريكية من ناحية الخبرات.

● التعاون مع الجامعات الأمريكية والقطاع الخاص من أجل تقوية علاقتهم بالقارة الأفريقية.

**تعريف بالمؤلفين:**

**والتر كانيستاينر**: المساعد السابق لوزير الخارجية للشؤون الأفريقية، وأحد مديري مجموعة سكوكروفت الاستشارية. اهتماماته تتركز في السياسات الأمريكية تجاه الصحراء الأفريقية، والجوانب الاقتصادية المتعلقة بالسياسة الخارجية الأمريكية. ويشغل حالياً منصب زميل متخصص في "منتدى السياسة الدولية" Forum for International Policy، وقد كان يشغل من قبل منصب مدير الشؤون الأفريقية بمجلس الأمن القومي.

**ج. ستيفن موريسون**: هو مدير برنامج أفريقيا بمركز الدراسات الدولية والاستراتيجية CSIS، واهتماماته في مجال الشؤون الأفريقية وبرامج المساعدات الدولية، والتطور الديمقراطي في أنظمة الحكم الأفريقية. شارك في رئاسة لجنة إعادة تقييم السياسة الأمريكية تجاه السودان والتي غيرت موقف الحكومة الأمريكية من قضية السودان في عهد الإدارة الحالية. عمل من قبل قسم التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية، وكان مسؤولاً عن الشؤون الأفريقية.